الدين والدولة في انتخابات الكنيست الاخيرة

عبد العزيز شادي

شكّل الدين حجر الزاوية في اسرائيل، حيث ادّعت الصهيونية انها قامت لتجميع «شعب الله المختار» في «أرض الميعاد» لتحقيق «الوعد الالهي» بخلاص اليهود الذين سيقودون العالم الى الخلاص عندما يأتي «المسيح المخلّص». ولسنا، هنا، في مجال تبيان مدى صحة هذا الادعاء من عدمه، ولكن يمكن القول، ان هذا الادعاء أسهم، الى حدّ كبير، في تجميع اليهود حول اسرائيل في وقت كانت هناك «المشكلة اليهودية» التي ظهرت في اوروبا، وبرزت الصهيونية كأحد أساليب حل هذه المشكلة، فكانت تحتاج الى غطاء ديني تبرر فيه دعوتها لهجرة اليهود الى فلسطين، شأنها في ذلك شأن أي مشروع استيطاني[١].

لقد تعدّدت استجابة المتديّنين للحركة الصهيونية ما بين مؤيد ومعارض. في هذا السياق، أسّس الارثوذوكس المؤيدون للصهيونية جناحاً لهم داخل الحركة الصهيونية أطلقوا عليه العام ١٩٠٢ اسم «همزراحي»، أي المركز الروحاني، وأسّس المعارضون منظمة مناوئة، ضمّت الارثوذوكس من كل من ألمانيا والمجر وجزء من بولندا وأطلقوا على هذه المنظمة اسم «اغودات يسرائيل» العام ١٩١٢.

تباينت المواقف الايديولوجية التي اتخذتها منظمة اغودات يسرائيل عن تلك التي تبنّاها همزراحي؛ فلقد أعلن حاخامات الاولى انه يمنع على اليهود ثلاثة أمور: أولها، التمرّد على السلطة التي يعيشون في ظلّها؛ وثانيها، الاسراع في عملية الخلاص من طريق أي جهد بشري؛ فهؤلاء يفترضون ان اليهود يجب ان يظلوا في المنفى ينتظرون مجيء المسيح المخلّص الذي يقودهم ـ ومعهم العالم ـ الى فلسطين لتحقيق الخلاص، وبالتالي لا تجب الهجرة الى فلسطين؛ وآخرها، عدم انتزاع الارض بالقوة؛ والمقصود، هنا، «أرض الميعاد»[٢].

على هذا الأساس، لم تؤيّد اغودات يسرائيل نشاطات المنظمة الصهيونية في مجال الهجرة المنظّمة والاستيطان الجماعي. وعندما فتح لها فرع بفلسطين حرص على حمايته هؤلاء الذين هاجروا قبل قيام المنظمة الصهيونية، أو الذين هاجروا من بعد بصفة فردية وبدوافع محض دينية لا علاقة لها باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وحماية قيمهم ومصالحهم، وكان هؤلاء يعرفون «بالييشوف القديم»، تمييزاً لهم عن اليهود الذين جاؤوا تحت مظلّة المنظمة الصهيونية، الذين أطلق عليهم مصطلح «الييشوف الجديد». ومن هنا، جاءت عزلة اغودات يسرائيل عن المشروع الصهيوني.

في الجانب الآخر، حرص همزراحي على تقديم التبرير الديني للمشروع الاستيطاني الصهيوني؛ بعبارة أخرى، أوجد التفسير الديني الخاص بحركة الهجرة اليهودية الى فلسطين، على أساس ان اليهودي لن يستطيع ان يبلغ قمة الايمان الّا اذا هاجر الى «ارض الميعاد»، وأنشأ وطناً له،